مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 12 العدد 1، 2015، ص ص 1- 32

العلاقات الدبلوماسية بين الملك الكامل (615- 635هـ/ 1218- 1238م) وفريدريك الثاني (594- 648هـ/1197- 1250م) من خلال المصادر الإسلامية

فايزه حجازي *

ملخص

يهدف هذا البحث إلى أن يقدم دراسة للعلاقات التي قامت بين الملك الأيوبي الكامل (615-635هـ/1218- 1238م) وفريدريك الثاني (594- 648هـ/1197- 1250م) إمبراطور ألمانيا والتي أسفرت عن تسليم القدس للإمبراطور فردريك من قبل معاهدة أبرمت بين الطرفين سميت بمعاهدة يافا سنة (626هـ/1229م)، ويهدف البحث أيضاً إلى بيان ظروف الاتفاقية، والبنود الأخرى التي اشتملت عليها المعاهدة لتوضيح سياسة حكام المسلمين في العصور السابقة إذ كانوا يحاولون اتخاذ أصوب القرارات حتى في حالة ضعفهم وانهزامهم.

المقدمة:

يهدف هذا البحث إلى أن يقدم دراسة للعلاقات التي قامت بين الملك الأيوبي الكامل (615-635هـ/1218- 1238م) وفريدريك الثاني (594- 648هـ/1197- 1250م) والتي سميت بمعاهدة يافا سنة (626هـ/1229م) ويهدف البحث أيضاً إلى بيان ظروف عقد الاتفاقية والبنود الأخرى التي اشتملت عليها المعاهدة لتوضيح سياسة حكام المسلمين في العصور السابقة إذ كانوا يحاولون اتخاذ أصوب القرارات حتى في حالة ضعفهم وانهزامهم.

أصول الدبلوماسية في الإسلام:

من المعلوم أن الدولة الإسلامية وظيفتها الأساسية حمل الإسلام إلى آفاق العالم وهي لا تدع فرصة تفوتها دون أن تستفيد منها لنشر الإسلام ولم تدع وسيلة إلا وسلكتها في سبيل ذلك.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2015.

* قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

ففي أوائل الإسلام كانت الدبلوماسية بمثابة نذير لنقل رسالة الإسلام قبل الشروع بالقتال والدليل على ذلك ارسال الرسول (ص) لهذه الرسل دليل على جواز إقامة الدولة الإسلامية مع الدول الأخرى علاقات ودية أو سلمية على شرط أن تتفق ومصلحة الإسلام.

ولقد جاءت الشريعة الإسلامية بمبادئ وقواعد لتنظيم علاقات الدولة بالدول الأخرى سلماً وحرباً، فأول ما دعا إليه القرآن في العلائق الدولية هو السلم وأمر نبيه بالجنوح إليه قال تعالى : **(وإن جنحوا للسلم فاجنح له)** [1]. وقال أيضاً **(ادخلوا في السلم كافة)**. [2]

كما ندد القرآن الكريم النكير على الناكثين للعهود لقوله تعالى:**(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون)** [3].. وقال أيضاً: **(وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا)** [4].

كما حذر القرآن من اتخاذ المعاهدات وسيلة للاحتيال على استلاب الضعفاء. قال تعالى: **(ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة)** [5]. أي تحذير ونكير أعظم من هذا فالإسلام يحذر من اتخاذ المعاهدات وسيلة للاحتيال على الضعفاء وأكل حقوقهم.

إلى جانب ذلك يبين القرآن للمسلمين موجبات نقض العهود حتى يكونوا قوة من أمرهم. قال تعالى: **(إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين)**[6].

فالآية الكريمة تتحدث عن الذين عاهدوا المسلمين ولم يخلوا بشرط من الشروط فهؤلاء يجب إتمام عهدهم إلى مدتهم كما تتضمن الآية معنى آخر وهو جواز إلغاء المعاهدة إذا أخل فيها أحد الطرفين بشيء من التزاماتها.

قال تعالى (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء)[7]. فإذا ظهر من جانب الأعداء خيانة ظاهرة أو مستورة ويخاف ضررهم اجاز الله لهم نقض عهدهم كما يجوز نقض المعاهدات في حالة انقضاء مدة المعاهدة لقوله تعالى:(**فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين**)[8].

كذلك جاءت السنة النبوية مؤكدة لما جاء في القرآن الكريم، فكان الرسول (ص) يشرط وقت العهد أن يقر بالمدة إلى أن يأمر الله بقطعه فعندما كتب العهد بينه وبين يهود خيبر قال لهم: (نقركم ما أقركم الله) وهذا ما يشبه في وقتنا الحاضر حيث تنص إحدى الدولتين في معاهدتها أن لإحداهما أو كلتيهما التحلل من الالتزامات متى أرادت احداهما، وذلك رغبة منهما في عدم

الالتزام إذا اقتضت المصلحة. هذا وقد دعا الرسول (ص) إلى حماية الرسل وعدم جواز قتلهم وعدم الغدر بهم قال: رسول (ص) (لكل غادر يوم القيامة غدره يقال هذا غدره فلان)[9].

كما طلب من أصحابه أيضاً الالتزام بالوفاء بالعهد، عن حذيفة بن اليمان قال: (ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي، قال فأخذنا كفار قريش قال إنكم تريدون محمد؟ فقلنا ما نريد إلا المدينة فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله فأخبرناه بالخبر، فقال: انصرفا وأوفيا لهم بعهدهم، ونستعين بالله عليهم)[10].

كما كان الرسول (ص) يعطي الرسل بما يسمى بالتعبير الحديث الحصانة الدبلوماسية حتى أن الرسول إذا طلب من الدولة الإسلامية أن يتخلى عن مرسليه ويقيم في بلاد المسلمين لا يقبل منه ذلك ولو أسلم. وهذا الأمان وجد في النصوص الفقهية وطبق حتى صار عرفاً. جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف (أن الولاة إذا ما لقوا رسولاً يسألونه عن اسمه فإن قال أنا رسول ملك العرب هذا كتابه معي وما معي من الهدايا والرقيق فهذه له، فإنه يصدق ولا سبيل عليه ولا يتعرض له لما معه من المتاع والسلاح والرقيق والمال)[11]. والسبب في منح الأمان هذا للرسل هو تمكينهم من أداء رسالتهم بحرية دون مضايقة أو إزعاج.

كما حدد الرسول (ص) الفترة الزمنية لمهادنة العدوفي صلح الحديبية عام (6هـ) إذ جعل المدة لا تزيد عن العشرة سنوات [12]. ولا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا التقى مبعوثوا المسلمين وغير المسلمين وتفاوضوا معاً. من خلال ما سبق يفهم أن الإسلام أجاز إقامة علاقات سلمية مع أعداء الدولة شريطة أن تتفق ومصلحة المسلمين.

وهذا وقد اتسمت الدبلوماسية في بداية عصر الإسلام بالبساطة وعدم التكلف، ومع ازدياد قوة الدولة ازداد الاهتمام بالدبلوماسية وراعى الخلفاء اختيار رسلهم من الدهاة والأذكياء ومن ذوي الشخصيات القوية. كما خصصوا للرسل القادمين دوراً للإقامة فيها فترة تواجدهم في البلاد. كما حظي السفراء بالحفاوة والتكريم، وكان يطاف بالسفير على معالم الدولة من مباني ومشاريع لإظهار قوة الدولة ومنعتها، إلى جانب هذا كان السفير موضع مراقبة دقيقة خوفاً من التجسس لصالح الأعداء [13].

أحوال الغرب قبل قدوم الحملة الصليبية السادسة (1228/625م) إلى الشرق:

شهد الغرب الأوروبي في العصور الوسطى نزاعاً حاداً بين البابوية والإمبراطورية الرومانية استمر من (449هـ- 648هـ/1057- 1250م) ومر في أدوار عديدة، ومهما تعددت الأمور الظاهرية التي أدت إلى إثارة الحرب بين الفريقين في كل دور إلا أنه يمكن القول بأن السبب

الحقيقي الذي يكمن وراء ذلك النزاع بجميع أدواره هو مبدأ السمو والتنافس بين السلطتين البابوية والإمبراطورية في سيادة العالم المسيحي، وهذه هي المشكلة الحقيقية التي ألقت بغرب أوروبا في صراع مرير، في الوقت الذي كانت فيه رحى الحرب لا تنقطع بين الصليبيين والمسلمين في إسبانيا والمغرب من ناحية وفي بلاد الشام ومصر من ناحية أخرى[14].

وكان بطل هذه المرحلة من النزاع هو الإمبراطور فردريك الثاني (594هـ- 648هـ/1197-1250م) فبعد وفاة هنري السادس (591- 594هـ/1194- 1197م) إمبراطور ألمانيا، انفصل تاج صقلية عن الإمبراطورية الرومانية حيث فضلت كونستانس (Constance) الإمبراطورة الوالدة ابنة روجر الثاني (Roger II) الاحتفاظ لابنها بملك صقلية مبتعدة عن ألمانيا ومشاكلها وأعلنت تبعيتها للبابا أنسنت الثالث (Innocent III) (594- 613هـ/1198- 1216م) مقابل دفع مبلغ مالي معين سنوياً للبابا واستطاعت كونستانس أن تحكم نابلي وصقلية باسم ابنها فردريك الصغير، وفي سنة (1198/594م) أوصت بأن يخلفها البابا في الوصاية على ابنها الذي كان ينتمي إلى سلالة هوهنشتاوفن (Hohenstaufen) [15].

أما ألمانيا فقد هددتها حوادث الانقسام حيث تسلم العرش أوتو الرابع (Otto IV) (594-615هـ/1197- 1218م) وكان ينتمي إلى سلالة الولف (Welf) المنافسة لسلالة هونشاتوفن، وأعلن ولاءه فكافأه البابا على ولائه بتتويجه من العام نفسه [16]. إلا أن أوتو بعد تعيينه إمبراطوراً انقلبت سياسته مع البابا واعتدى على أملاكه مما اضطر البابا على إعلان قرار الحرمان ضده وأباح لرعاياه الخروج عن طاعته [17]. وكيفما كان الأمر فقد أتت السياسة البابوية أكلها، فاجتمع عدد من أمراء ألمانيا الكارهين للإمبراطور في نورنبرج (Nurnberg) سنة (608هـ/1211) واعتمدوا قرار البابا ضد الإمبراطور مرسوماً بعزله،واختاروا فردريك الثاني ملك صقلية ملكاً على ألمانيا بدل أوتو الرابع المحروم من الكنيسة، وإن لم يكن هذا الاختيار من مصلحة البابا [18]. لكن الموقف الذي كان فيه البابا جعله لا يفكر في شيء سوى التخلص من أوتو الرابع فوافق على اختيار فردريك الثاني لعرش ألمانيا[19]. فلم يلبث فردريك أن غادر صقلية وقصد روما حيث أعلن ولاءه للبابوية [20]. ثم غادر إلى ألمانيا وهناك تم تتويجه رسمياً ملكاً وكان ذلك في عام (609هـ/1212م). كما استطاع فردريك أن يقضي على منافسيه في الحكم في موقعه بوفان(Bouvines) في ألمانيا سنة (611هـ/1214) [21] واحتفل فردريك الثاني بانتصاراته بإعادة تتويجه في كتدرائية آخن (Aachen) سنة (612هـ/1215م) وأصبح بذلك الحاكم الذي لا ينازعه منازع في حكم ألمانيا وصقلية [22]. وأقسم فردريك أن يساعد الصليبيين ويحارب إلى جانبهم كما وعد بفصل حكم صقلية عن تاج الإمبراطورية وشاءت الظروف أن تساعد فردريك الثاني لأن البابا انسنت الثالث توفي سنة 612هـ/ 1216م فتحرر من سيطرته ولا سيما أن البابا

الجديد هونوريوس الثالث (Honorius) (613- 625هـ/1216- 1227م) كان هادئ الطبع مواصلاً توجيه جهوده إلى الحروب الصليبية [23]. وأخذ فردريك يماطل في الوفاء بوعوده للبابا، كما قام بتتويج ابنه هنري (Henry) سنة (617هـ/1220م) ملكاً يخلف أباه في حكم صقلية والإمبراطورية جميعاً مما ضايق البابوية في روما وأفزعها، كما قدم فردريك في نفس العام إلى روما وقام البابا بتتويجه مع زوجته كونتسانس إمبراطوراً وإمبراطورة كما أكد فردريك وعده بالتوجه إلى الشرق في الربيع التالي [24].

وبعد فشل الحملة الصليبية الخامسة على دمياط سنة (618/1221م) [25] تاقت البابوية أكثر لإرسال حملة جديدة إلى الشرق فلجأ البابا إلى تشجيع فكرة زواج الإمبراطور من الأميرة إيزابيل (Esabel) ابنة حنا دي بريين (John of Brienne) (607- 622هـ/1210- 1225م) ملك مملكة بيت المقدس، بعد وفاة زوجته السابقة كونستانس سنة(619-1222م) حتى يصبح للإمبراطور مصلحة في التوجه إلى الشام [26]. كما اشترط البابا أن يتم الزواج في القدس ولكن فردريك استدعى عروسه إلى صقلية وجرى الاحتفال بزواجهما في برنديزي(Brindisi) عام (622هـ/1225م). كما تعهد فردريك للبابا في نفس العام في سان جرمانو (San Germano) بأن ينفذ مشروعه الصليبي في صيف سنة (625هـ/1227م)، كما تعهد للبابا بإيداع كفالة مالية قدرها (450) أونصه من الذهب في خزينة البابا بروما ولا ترد إلى الإمبراطور إلا إذا أوفى بعهده[27].

إلا أن فردريك لم يخط خطوة واحدة في سبيل تنفيذ وعده الصليبي بل إنه عقد مؤتمراً في كريمونا سنة (624هـ/1226م) أعلن فيه تمسكه بحقوقه الإمبراطورية كاملة لا سيما فيما يتعلق بالسيادة على لمبارديا. في هذا الوقت كان صبر البابا هونوريوس الثالث قد نفذ فأخذ يتأهب هو الآخر لمحالفة المدن اللمبارديـة ضد الإمبراطور عندها توفى البابا في آخر سنة (625هـ/1227م). مما أجل فتح باب النزاع من جديد بين البابوية والإمبراطورية [28].

وعلى الرغم من أن البابا جريجوري التاسع (Gregory) (625- 639هـ/1227- 1240م) كان طاعناً في السن إلا أنه امتاز بإرادة حديدية لا تفل فلم يقبل الأعذار التي دأب فردريك الثاني على ابتكارها من أجل تأجيل حملته الصليبية، وأصر على ضرورة رحيل الإمبراطور إلى الشرق فوراً وإلا تعرض لعقوبة الحرمان. ولم يجد الإمبراطور فردريك الثاني مفراً من الخروج في خريف سنة (625هـ/1227م) قاصداً بلاد الشام [29] ، خصوصاً بعد أن اتصل به الملك الكامل الأيوبي ووعده بتسليم بيت المقدس مقابل بذل المساعدة العسكرية ضد أخيه المعظم عيسى، وبذلك وجد الإمبراطور الدافع الذي يخرج من أجل تحقيقه، على أن الإمبراطور ما كاد يبحر من برند

يزي حتى خر مريضاً نتيجة الحمى التي تفشت فترة من الزمن في صفوف جيشه أثناء انتظارهم عبور البحر إلى بلاد الشام، وكان من نتيجة ذلك أن عاد فردريك إلى أوترانتو (Otranto) حتى يستعيد صحته. ولكن البابا جريجوري التاسع اعتقد أن فردريك عاد من جديد إلى التسويف والتأجيل واعتبر مرضه عارضاً وأصدر ضده قرار الحرمان في نفس العام (625هـ/1227) [30]. ورغم ذلك فإن فردريك خرج على رأس حملة صليبية عام (626هـ/1228م) بعد أن وجه إلى أمراء أوروبا بيانا متزناً ينكر فيه مزاعم البابا وسار إلى الشرق في ثوب مجاهد في سبيل الغرض الصليبي، رغم أن البابا حذره بأنه ليس بوسعه من الناحية القانونية أن يتوجه إلى الحرب المقدسة لوقوعه تحت حظر الكنيسة إلا أن فردريك أصر على الخروج، ويفهم من حوادث هذه الحملة أن فردريك الثاني لم يخرج إلى الشرق بقصد الحرب، وإنما خرج بقصد مفاوضة الكامل للحصول على كسب سريع. [31]

أحوال الشرق قبل مجيء الحملة الصليبية السادسة:

كانت البلاد في هذه الآونة موزعة بين أبناء الملك العادل أخ السلطان صلاح الدين الأيوبي الملك الكامل في مصر،والملك المعظم عيسى في دمشق، والملك الأشرف موسى في سنجار[32] والجزيرة الفراتية [33]. إلا أن الخلاف وقع بينهم في نهاية (620هـ/1224م) نتيجة الخلاف الذي وقع بين الملك المعظم عيسى والملك الناصر ابن الملك المنصور صاحب حماة الذي رفض أن يدفع مبلغاً من المال كان قد وعد بدفعه للمعظم عندما ساعد الأخير على امتلاك حماة، فاغتاظ منه المعظم وعزم على قصد بلاده وانتزاعها منه، وتمكن من احتلال سلمية [34] والمعرة [35]، ثم نازل حماة التي كان يتلهف إلى الاستيلاء عليها وضمها إلى مملكته مما أثار مخاوف أخوية الكامل والأشرف موسى فأرسل إليه الكامل يتهدده ويأمره بالرحيل فأجابه إلى طلبه ورحل غاضباً على أخويه فنفرت القلوب بينهما ([36]).

كما كانت الآمال تراود الملك الكامل في ضم الشام إلى مصر وجعل ابنه الملك مسعود صاحب اليمن ملكاً عليها: حيث أورد سبط بن الجوزي قولاً يعلق على استدعاء الملك الكامل ابنه من اليمن بقوله: " وما جاء من اليمن إلا طمعاً في أخذ دمشق والشام "[37].

كذلك شعر المعظم عيسى بأن أخويه الملك الأشرف والملك الكامل قد اتفقا عليه لانتزاع مملكته منه فلم يجد بداً من الاتفاق مع شخصية إسلامية تضمن له الغلبة، ووقع اختياره على شخصية جلال الدين خوارزم شاه الذي كان قد عظم أمره وصارت له بلاد فارس وأذربيجان [38]. ومظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي كوجك صاحب أربل [39]. واتفق الثلاثة وصاروا يدا واحدة [40]. وبدأ نشاط هذا التحالف الثلاثي على أن يقصد مظفر الدين كوكبوري الموصل،

ويقصد جلال الدين خوارزم خلاط وهي للأشرف أما الملك المعظم فيتوجه إلى حمص وحماة، ولم يكن للملك الأشرف طاقة لمواجهة هذا التحالف لاسيما وأن أخاه الكامل بعيد في مصر فاشتد الأمر على الملك الاشرف موسى لمجاورة جلال الدين خوارزم شاه ولاية خلاط، ولأن المعظم بدمشق يمنع عنه عساكر مصر أن تصل إليه وكذلك عساكر حلب وغيرها من الشام، فرأى الأشرف أن يسيرالى أخيه المعظم بدمشق فسار إليه واستماله وأصلحه وأقام عند أخيه مدة عشرة أشهر كالأسير .[41] ولم يطلق سراحه إلا بعد أن تعهد له بمساعدته في الاستيلاء على حمص وحماة، ثم في مهاجمة أخيهما الكامل في مصر، وقد تعهد الأشرف له بذلك ولكنه ما كاد يفلت من يد المعظم حتى أكد تحالفه مع أخيه وأخبره بكل ما حدث [42].

مقابل هذا التحالف لم يجد الملك الكامل أمامه من حليف سوى أن يرسل إلى الفرنجة يعتضد بهم، فأرسل الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين ابن حموية إلى الإمبراطور فردريك الثاني في صقلية يدعوه للحضور لمساعدته في الشام ووعده بأن يعطيه بيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل أن ساعده في حربه ضد أخيه المعظم عيسى [43].

ولم يلبث أن حاصر السلطان جلال الدين الخوارزمي خلاط عاصمة الأشرف سنة (623هـ/1226م) كما أرسل جلال الدين إلى المعظم خلعه لبسها وشق بها دمشق وقطع الخطبة للملك الكامل. فاستعد الملك الكامل للزحف على الشام مما أنذر باشتعال الحرب في العالم الإسلامي [44].

في هذه الأثناء وصل رسول الكامل إلى الإمبراطور فردريك الثاني في صقلية وأحسن الإمبراطور استقبال الرسول ورد على السلطان بسفارة مماثلة في (624هـ/1226م) تحمل هدية سنية وتحفاً عربية من بينها فرس خاص بالإمبراطور نفسه ،بمركب ذهب مرصع بجوهر فاخر. فتلقاه الكامل بالإقامات من الإسكندرية إلى القاهرة وخرج بنفسه لظاهر القاهرة واستقبله وبالغ في إكرامه. ثم أنه رد على هدية الإمبراطور بهدية عظيمة حملها إليه جمال الدين بن منقذ الشيرزي فيها من تحف الهند واليمن والعراق والشام ومصر والعجم ما قيمة أضعاف ما أرسله الإمبراطور، من بينها سرج من ذهب وجواهر وأحجار ثمينة[45].

ولكي يضمن فردريك لحملته النجاح رأى أن يراسل الملك المعظم عيسى كي يأخذ منه الوعد بالتنازل عن القدس، كما أخذه من أخيه الملك الكامل، لكن المعظم أساء استقبال رسول الإمبراطور وأغلظ له وقال، " قل لصاحبك ما أنا مثل الغير، وماله عندي سوى السيف" [46]. وبادر الملك المعظم ببث العيون على فردريك ليتجسس عليه ويتتبع أخباره ومن هؤلاء راهب شوبكي أرسله إلى صقلية كي يعرف حقيقة التحالف ويرسل إليه بأنبائه [47].

كما بادر بتجهيز العساكر إلى نابلس لحماية القدس من مطامع الإمبراطور فريدريك الثاني. إلا أن المرض عاجله وتوفي في عام (624هـ/1227م) [48]. وخلفه في مملكته أكبر أبناءه الملك الناصر داوود، وأرسل عمه الملك الكامل إليه الخلع من القاهرة ثم أرسل إليه يريد منه أن يترك قلعة الكرك ليجعلها خزانة له فامتنع عن ذلك، وبهذا وقعت الوحشة من جديد بينه وبين عمه الملك الكامل وعزم الكامل على قصده وأخذ دمشق منه [49].

فسار في عساكر كثيفة إلى الشام في شهر رمضان سنة (625هـ/1228م). وتمكن من انتزاع نابلس والقدس والخليل، فاستنجد الملك الناصر داوود بعمه الملك الأشرف موسى صاحب سنجار الذي سارع إلى تلبية طلبه وكان أقصى أمانيه أن يمتلك دمشق، ثم سير الملك الأشرف رسولاً إلى أخيه الملك كامل يشفع بالملك الناصر ويطلب منه إبقاء دمشق عليه ويقول: " إننا كلنا في طاعتك، ولم نخرج عن موافقتك"[50]. أي الاتفاق معه وعلى منع الفرنج من البلاد، ورد عليه الملك الكامل، بأنه أيضا حضر إلى الشام لدفع الفرنج الذين احتلوا صيدا وجزء من قيسارية وأن واجبهما حماية بيت المقدس التي فتحها عمهما صلاح الدين[51]. ثم رحل الملك الأشرف للاجتماع بالكامل في غزه، ثم وقع الاتفاق بين السلطانين على انتزاع دمشق من ابن أخيهما الملك الناصر وافتتاح البلاد. ولم علم الناصر داوود بذلك تحصن في دمشق وسار الأشرف بقواته ونزل حول دمشق محاصراً بينما انسحب الكامل إلى تل العجول جنوب غزة لمراقبة الموقف [52].

قدوم الحملة الصليبية السادسة إلى عكا وبدء المفاوضات:

حطت جموع الحملة الصليبية السادسة في عكا في شوال سنة (626هـ/أيلول 1228م) بقيادة الإمبراطور فردريك بعد أن استولى في طريقه على جزيرة قبرص وملكها، وكان قد نزح الى عكا قبل هؤلاء جموع أخرى من الفرنج إلا أنهم لم يتمكنوا من الحركة والشروع في الحرب، انتظاراً لوصول الإمبراطور من ناحية، ولأن المعظم عيسى كان ما يزال حياً وهو الرجل الشجاع فخافه الفرنج. إلا أن بعد وفاة المعظم عيسى ظهر هؤلاء من عكا وصور وبيروت إلى مدينة صيدا وعمروها، وكانت مناصفة بينهم وبين المسلمين، وعظمت شوكة الفرنج وقوي طمعهم[53].

ولكن وصول الإمبراطور جاء بعد أن زالت الأسباب التي دعت الكامل للاستنجاد به وذلك بموت الملك المعظم عيسى سنه624هـ/1227م[54]، كما أن الظروف تغيرت كثيراً لصالح سلطان مصر. لكن الإمبراطور فردريك بمجرد وصوله إلى عكا أرسل سفارة إلى الملك الكامل الأيوبي تحمل له الهدايا النفيسة من المنسوجات الحريرية والأواني الذهبية والفضية ويلتمس منه تحقيق وعده بتسليم الإمبراطور بيت المقدس. وأمر رسوله أن يقول للملك الكامل ما يلي: " الملك يقول لك كان الجيد والمصلحة للمسلمين أن يبذلوا كل شيء ولا أجئ إليهم، والآن فقد كنتم بذلتم

لنائبي في زمن حصار دمياط، الساحل كله وإطلاق الحقوق بالإسكندرية. وما فعلنا وقد فعل الله لكم ما فعل من ظفركم وإعادتها إليكم ومن نائبي؟ إن هو إلا أقل غلماني فلا أقل من إعطائي ما كنتم بذلتموه له" [54].

فالناظر إلى هذه الرسالة يجد أنها لا تخلو من القوة والتقريع، فهو يضع اللوم على الكامل، لأنه كان الأجدى به أن يراسله، ويخبره بما حدث قبل وصوله البلاد، كما يستشف من خلال الرسالة عن مشاركة قواته في الحملة الصليبية الخامسة على دمياط، ويذكره بما قدمه لنائبه الذي هو أقل غلمانه من تنازل من بينها بيت المقدس، ويطالبه فيها بإعطائه ما قدمه لنائبه في الحملة الصليبية الخامسة وكأنه لا يطلب كثيراً وهو الإمبراطور الكبير بل رضي بما قدم لأقل غلمانه، أمام هذا الوضع احتار الكامل في أمره وراسله ولاطفه. وقد وصف لنا المؤرخون حيرة الكامل هذه فالمقريزي يذكر:(بأن الملك تحير ولم يمكنه دفعه ولا محاربته مما كان تقدم بينهما من الاتفاق) [55]. أما ابن واصل وأبو الفداء فقد ذكرا: (وصل الإمبراطور إلى عكا ونشب به الكامل لأن أخاه المعظم عيسى توفي واستغنى عنه)[56].

وكان السبب وراء حيرة الملك الكامل بأنه أحس بأنه ليس من مصلحته ولا مصلحة البيت الأيوبي أن يسلم بيت المقدس حيث يقول لأخيه الأشرف: (أن أخذه بيت المقدس الفرنج حصل من سوء الذكر وقبح الأحدوثة ما يناقض ذلك الذكر الجميل الذي أدخره عمنا، وأي وجه يبقى لنا عند الناس وعند الله) [57].

وأمام تردد الكامل هذا ساء موقف فردريك الثاني في الشرق بعد أن كان وضعه قد ساء في بلاده حيث خرج من هناك محروماً من الكنيسة مغضوباً عليه من البابوية، وأنه اعتمد على وعود الكامل له بإعطائه بيت المقدس لإصلاح مركزه في الغرب الأوروبي، وأمام هذه المواقف الحرجة، اجتمع فردريك بالملك الكامل جنوب قيسارية من نفس العام كصديق إلا أن الكامل استمر في تردده في تنفيذ وعده ولكن الإمبراطور فردريك صاحب الاتجاهات السلمية، لم ييأس[58]. وتجمدت المفاوضات بينهما مدة خمسة أشهر بعد أن حاول الكامل التنصل من وعوده [59]. ثم عاد فردريك إلى المراسلات مع استخدام كافة وسائل الدبلوماسية للوصول إلى غرضه، فالموضوع بالنسبة له كان موضوع مستقبل عرشه في الغرب ومصير المعركة بينه وبين البابا ، والدليل على ذلك ما قاله فردريك للأمير فخر الدين" لولا انني اخاف انكسار جاهي عند الفرنج لما كلفت السلطان شيئاً من ذلك وماله من غرض في القدس ولا غيره وإنما قصد حفظ ناموسه عند الفرنج"[60].

وترددت الرسل بينهما دفعات كثيرة [61]، كما اتسمت مراسلاتهما باللطف والكياسة، حيث كانت تجري بينهما محاورات في أشياء شتى من بينها أن الإمبراطور سير إلى الملك الكامل في أثناء ذلك مسائل حكمية ومسائل هندسية ورياضية مشكلة ليمتحن بها من عنده من الفضلاء فعرضها الكامل على جماعة من الفضلاء المختصين بهذه العلوم فأجابوا على الجميع وأرسل جوابها إلى الإمبراطور [62].

ومع استمرار تردد الكامل اتجه فردريك إلى يافا وقام بتحصينها ليزعزع ثقة الكامل بنفسه ويظهر له قوته وأنه على استعداد لاستعمال القوة فيما لو فشلت المفاوضات [63]. لكن فردريك أثناء وجوده في يافا تلقى أخباراً سيئة في صقلية بأن البابا أصدر ضده قرار الحرمان للمرة الثانية وأنه أباح لرعاياه الاعتداء على أملاكه [64]، وقد أثرت هذه الأخبار بلا شك على نفسية الإمبراطور. واستمر في مراسلاته مع الملك الكامل فبعث يقول له: " انا عتيقك وتعلم اني اكبر ملوك الفرنج وانت كاتبتني بالمجئ وقد علم البابا والملوك باهتمامي. فإن رجعت خائباً انكسرت حرمتي. وهذه القدس فهي اصل دين النصرانية، وانتم قد خربتموها، وليس لها دخل طائل. فإن رأيت ان تنعم علي بقصبة البلد ليرتفع راسي بين الملوك فأنا التزم بحمل دخلها لك فلان له الكامل وجاوبه أجوبة غليظة، وباطنها نعم" [65] بعدها أفلحت جهود الأمير فخر الدين في التوسط بينهما وامتنع الملك الكامل أن يسلم إليه كل ما اتفقا عليه وتم الاتفاق بينهما في أول ربيع الآخر سنة (626هـ/1229م)، وتقرر بينهما الصلح [66]. وقد برر ابن واصل عقد الملك الكامل الاتفاقية بقوله: " أن الملك الكامل رأى أنه إن شاقق الإمبراطور ولم يف له بالكلية أن يفتح له باب محاربة مع الفرنج ويتسع الخرق ويفوت عليه ما خرج لسببه". [67]، أما المقريزي فيقول: "خاف من غائلته عجزاً من مقاومته". [68]، أي أن الكامل وجد أن المغامرة في حرب ضد الإمبراطور تعني بالنسبة له اتساع الخرق لأن ما قام به فردريك الثاني من تحصين يافا جاء بمثابة مظاهر عسكرية جعلته يخشى اتفاق الإمبراطور إن لم يكن مع الصليبيين الذين في الشرق، يكون مع ابن أخيه الناصر داود أو ربما خوفه كان ناتجاً عن الظروف التي تحيط به الخوارزمية وسلطانها جلال الدين في الشرق وابن أخيه الناصر في دمشق، والصليبيين وإمبراطورهم من ناحية ثالثة على أي حال عقد الكامل معاهدة مع الإمبراطور والتي سميت معاهدة يافا نصت على ما يلي:

1. أن يسلم إليه القدس على شرط أن يبقى خراباً، ولا يجدد أسوارها بالإضافة إلى الناصرة وبيت لحم ومدينة اللد والمنطقة الواقعة بين الناصرة، وعكا والسهول التابعة لها.[69]
2. الحرم بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى يكون بأيدي المسلمين ولا يدخله الفرنج إلا للزيارة فقط، ويتولاه قوام من المسلمين ويقيمون فيه شعار الإسلام من الآذان والصلاة.[70]

3. تكون جميع القرى التابعة لبيت المقدس للمسلمين، ويأتي الحجاج المسيحيون إلى الأماكن المقدسة ليؤدوا عبادتهم الخاصة بهم بالقدر الذي يسمح لهم به، وأن لا يحملوا بداخلها أي نوع من الأسلحة، وعلى أن لا يسمح لهم بالسكنى داخل المدينة، وعليهم الرحيل عند الانتهاء من طقوسهم.[71]

4. استثنى الفرنج قرى معدودة، وهي على طريقهم إذا توجهوا من عكا إلى القدس تكون هذه القرى بأيديهم خوفاً من أن يقاتلهم أحد من المسلمين.[72]

ثم حلف الملك الكامل على ما وقع الاتفاق عليه، وحلف الإمبراطور وعقدوا الهدنة لمدة عشر سنوات وانتظم بينهما الأمر وأمن كل من الفريقين صاحبه ولم يلبث أن أرسل السلطان الكامل فنؤدي بالقدس بخروج المسلمين منه وتسليمه للفرنج[73]، أما فردريك فعقب الفراغ من عقد المعاهدة سار إلى المدينة المقدسة ودخلها ليتسلمها من القاضي شمس الدين قاضي نابلس الذي أرسله الملك الكامل مع الإمبراطور ليكون في خدمته، وفي اليوم التالي دخل الإمبراطور كنيسة القيامة ليتوج نفسه بيده بعد أن رفض أحد من رجال الكنيسة أن يقوم بتتويجه لأنه إمبراطور محروم وبذلك يكون قد توج نفسه بنفسه[74].

وبعد أن عقد الإمبراطور فردريك الثاني مجلساً صغيراً ليبحث في شؤون الدفاع عن بيت المقدس. سار في المدينة برفقة القاضي شمس الدين ودخل معه الحرم الشريف ورأي ما فيه من المزارات ثم دخل إلى المسجد الأقصى ورأى هناك قسيسا بيده الإنجيل يهم بدخول المسجد الأقصى فزجره الإمبراطور وطرده وهدد كل من يدخل المسجد الأقصى من الفرنج بغير إذن، وقال: " نحن مماليك هذا السلطان الملك الكامل وعبيده وإنما تصدق علي وعليكم بهذه الكنائس على سبيل الأنعام منه ولا يتعدى أحد منكم على طوره". [75]

وكان القاضي شمس الدين قد أوصى المؤذنين بعدم الأذان تلك الليلة احتراماً له وقد لاحظ الإمبراطور ذلك وسأله فقال له: "إن السلطان منعهم من ذلك إعظاماً للملك واحتراماً له". فقال له: "أخطأت فيما فعلت والله إن أكثر غرضي في المبيت في القدس أن أسمع آذان المؤذنين وتسبيحهم بالليل"[76].

ولم يقم الإمبراطور بالقدس سوى ليلتين وعاد إلى يافا بعد أن أحسن إلى أهل القدس ولم يغير من الإسلام شيئاً [77]. بعدها أقلع الإمبراطور راجعاً إلى بلاده وفي عام (627هـ/1230) استتب الصلح بينه وبين البابا ورفع عنه قرار الحرمان [78] واستمر فردريك مصافياً للملك الكامل

موادعاً له والمراسلة بينهما متصلة إلى أن توفي وملك ولده الملك العادل سيف الدين فصافى الإمبراطور العادل وراسله [79].

أما الملك الكامل وبعد أن عقد الهدنة مع الإمبراطور وخلا سره من جهة الفرنج سار إلى دمشق وبقي محاصراً لها إلى أن استولى عليها وسلمها لأخيه الملك الأشرف موسى، وعوض الناصر داود عنها الكرك والشوبك والبلقاء والسلط والأغوار ثم نزل الناصر داود عن الشوبك لعمه فقبلها [80].

ردود الفعل الشعبية والرسمية على تسليم بيت المقدس:

أ- ردة الفعل الشعبية:

عندما نودي بالقدس بخروج المسلمين منها لتسليمها للفرنج اشتد البكاء وعظم الصراخ والعويل وعظم ذلك على الناس. وحصل وهن شديد وإرجاف بين المسلمين، كما حضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى مخيم الملك الكامل وأذنوا على بابه من غير وقت الأذان، فعز عليه ذلك وأمر بأخذ ما كان معهم من الستور والقناديل والفضة والآلات وزجرهم وقيل لهم امضوا إلى حيث شئتم فعظم على اهل الاسلام هذا البلاء.

واشتد الإنكار على الملك الكامل وكثرت الشناعات عليه في سائر الأقطار[81].

ولما ورد الخبر إلى دمشق بتسليم بيت المقدس عم الغضب الناس جميعاً واعتبروا ذلك العمل كفراً وخروجاً عن الدين وأنكروا على الملك هذا الفعل واستشنعوه منه [82].

كما حزن جميع المسلمين في الأقطار الإسلامية لخروج القدس من أيديهم، واستعظموا ذلك الأمر وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه، وقامت القيامة بجميع بلاد المسلمين [83].

كذلك المؤرخون المعاصرون. لم يغفروا للملك الكامل هذه الزلة فنعتوه بالخيانة والتقصير واعتبروا ذلك العمل وصمة في الدين فعلق سبط بين الجوزي على الحادثة بقوله: "تألم المسلمون من ذلك ما لا يمكن وصفه يسر الله فتحه وعوده إلى المسلمين بمنه وكرمه آمين"[84].

أما الذهبي فقد قال: "لقد شق هذا على المسلمين وبقي أهل القدس مع الإمبراطور ونطق الناقوس وصمت الآذان، فإنا لله وانا إليه راجعون". [85].

أما المؤرخ ابن واصل فقد برر موقف الكامل بقوله: "إن الملك الكامل علم بأن الفرنج لا يمكنهم الامتناع بالقدس مع خراب أسواره وأنه إذا قضى غرضه واستتبت الأمور له كان متمكناً من تطهيره من الفرنج وإخراجهم منه". (86)

ب- ردة الفعل الرسمية:

بعض الأمراء الذين كانوا في جيش الكامل عارضوه وأشاروا عليه بإبقاء دمشق لابن أخيه الناصر داود والاتحاد معه. لكن السلطان غضب عليهم وأخذ عليهم وأخذ أموالهم، وهؤلاء الأمراء هم: الأمير فتحي الدين طنبا الجيشي، وفتحي الدين القليوسي وعشرة من الأمراء البحرية(87).

كما شق تسليم القدس على الملك الناصر داود وأخذ في التشنيع على عمه الملك الكامل وطلب من الواعظ المؤرخ سبط بين الجوزي أن يجلس بجامع دمشق ويذكر ما جرى في بيت المقدس ويذكر فضائله وكان مجلساً عظيماً لم يحضره أحد إلا واشتد بكاؤه ومن جملة ما أنشده قصيدة تائية ضمنها بيت دعبل الخزاعي وهو:

مدارس وآيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات (88)

بعض ملوك بني أيوب أيدوا فعلة الملك الكامل ومنهم الملك العزيز عثمان. صاحب بانياس، والظاهر غازي، والأمير عز الدين أيدمر وذلك لإغراق الكامل لهم بالأموال والقطائع والخلع والقماش النفيس وكان لهم أكبر الأثر في استيلاءه على دمشق (89).

كما استمرت المراسلات بين أمراء البيت الأيوبي وبين فردريك ومن هؤلاء الملك الجواد يونس بن مودود أحد أمراء البيت الأيوبي في دمشق والذي عرف بالطيش والحمق. وقد أشار في إحدى رسائله للإمبراطور فردريك بمواقفه النبيلة ويذكر له بأنه لا فرق بين المملكتين (90).

موقف الكامل تجاه هذه الردود:

علق الملك الكامل على هذه الضجة التي اجتاحت العالم الإسلامي بقوله: " لم نسمح لهم إلا بكنائس وآدر خراب، والحرم وما فيه من الصخرة المقدسة. وسائر المزارات بأيدي المسلمين على حاله، وشعار الإسلام قائم على ما كان عليه. ووالي المسلمين متحكم على رساتيقه وأعماله". (91).

كما سير جمال الدين الكاتب الأشرفي إلى الجزيرة الفراتية لتسكين قلوب الناس وتطمين خواطرهم من انزعاجهم لأخذ القدس.(92)

كما جاء الملك الأشرف إليه ووجده قد دفع القدس إلى الإمبراطور فشق عليه ولامه فرد عليه الكامل بقوله ما أحوجني إلى هذا إلا المعظم [93].وهنا اشارة الى ما سبق الى تحالف المعظم عيسى مع جلال الدين الخوارزمي معاندة بأخويه الكامل والاشرف موسى.[94] وقد حاول الملك الكامل بثني اخيه عن الاستمرار في التحالف مع الخوارزمية الى انه رفض في اعادة العلاقات الودية.[95]

ردة فعل الصليبيين والغرب على تسليم بيت المقدس:

قابل الصليبيون تلك الاتفاقية بالغضب والاستياء وعبروا عن غضبهم بصور شتى فبعضهم قال: "أن كرامة المسيحية كانت تقتضي أن تؤخذ القدس من المسلمين بحد السيف لا عن طريق الاستجداء والاستعطاف كما فعل فردريك الثاني". [96].

وفي اليوم الثاني من دخول فردريك بيت المقدس وتتويج نفسه ملكاً عليها وصل إلى القدس رئيس أساقفة قيسارية ليفرض عليها الحظر، مما دفع فردريك إلى ترك القدس لهذه الإهانة والسير إلى يافا ومن بعدها إلى عكا. فوجد عكا تطفح بالحقد والكراهية فلم يغفر البارونات للإمبراطور فعلته لأنه عقد معاهدة دون رضاهم وموافقتهم، ووقعت صدامات بين العساكر المحليين وبين حاميه الإمبراطور. فحاول فردريك أن يعقد مجلساً ليشرح موقفه ولم يلق سوى الرفض والغضب وقالوا أنه لا قيمة لأي عمل أو نجاح يحققه إمبراطور محروم من الكنيسة مطرود من رحمتها. وكان ذلك بسبب تحريض بطريرك القدس السابق للحكام الصليبيين من أجل أن يبقى سيداً على القدس [97].

ومع شروق شمس صباح اليوم الذي حاول فيه فردريك مغادرة عكا سراً، وجد الناس قد تجهزوا وتزاحموا على الأبواب وأخذوا يقذفونه بأمعاء الحيوانات وروثها حتى قام اثنان من النبلاء وأعادا الأمن إلى نصابه وودعا الإمبراطور بكلمات الوداع المهذبة، بينما كان الإمبراطور يضع غليونه في فمه، همس باللعنات حين رد عليهما [98] وهكذا تنكرت جميع الطوائف المسيحية له وبخسوه العمل الكبير الذي حققه لهم.

ويعقب المؤرخ أرنست باركر على هذه الحملة بقوله: " ولم تتخذ الحملة السادسة صفة الحرب المقدسة إنما الذي حدث فعلاً هو نوع من المساومة الحقيرة مثلما يجري عادة في سوق من أسواق الشرق بين ملك صقلية المشهور بحريته الفكرية وميله نحو الشرق وبين سلطان مصر، والواقع أن فردريك، إنما تصرف بروح ملك صقلية لا بروح ملك القدس وهو ما كان لابد أن يقوم به، فمن أسلافه الصقليين الذين عقدوا معاهدات تجارية مع مصر تعلم فردريك أن يجعل من الحرب وإن كانت صليبية مسألة معاهدة. فعلى الرغم من أن الفرع النورماني الذي انحدر منه ملوك

صقلية كاد يختفي. فإن سياستهم بقيت من بعدهم عندما خلفهم ملوك من أسرة هو هنشتاوفن تلك السياسة التي أسهمت في تحول الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية هدف النورمان من قديم الزمان، والتي أمعنت في أن تجعل للحملة السادسة مظهرها الدنيوي والدبلوماسي المجرد من الدين" [99].

كما أن هناك من المؤرخين الغربيين اختلفوا في نظرتهم للحملة السادسة عن نظرة باركر حين قالوا أن الحملة الصليبية السادسة كانت مثالاً فريداً في تاريخ العصور الوسطى إذ عقد فردريك البعيد النظر مع صديقه السلطان الكامل معاهدة تسلم من خلالها مدينة القدس وأتاح للحجاج المسيحيين زيارة الأماكن المقدسة لمدة عشر سنوات وذلك دون أن يضيع وقتاً أو ينفق مالاً أو يهدر دماً تلك هي ثمار المهارة السياسية والإدراك السليم التي كان يتمتع بهما الإمبراطور فردريك [100].

شخصية كل من الملك والإمبراطور فردريك كما ذكرها المؤرخون:

وصف ابن خلكان الملك الكامل بقوله: " كان الملك الكامل سلطاناً عظيم القدر جميل الذكر محباً للعلماء متمسكاً بالسنة النبوية حسن الاعتقاد ومعاشراً لأرباب الفضائل، حازماً في أموره، لا يضع الشيء إلا في موضعه من غير إسراف ولا إقتار"[101]. "وكان يبيت عنده كل ليلة جمعة جماعة من الفضلاء ويشاركهم مباحثاتهم ... وكان محبوباً من الناس مسعوداً مؤيداً في الحروب". [102].

كما ذكره الصفدي بقوله: " له من المواقف المشهورة في الجهاد وكان يحب أهل العلم ويجالسهم ويؤثر العدل". [103].

أما الحنبلي فيقول عنه: " كان ملكاً مهيباً حسن التدبير، يحب العلماء ومجالستهم"[104].

ويقول عنه ابن واصل: " كان الملك الكامل ملكاً جليلاً، حازماً مهيباً، حليماً، واهتم بشؤون مملكته وكان يشرف على الجمهور بنفسه، عمرت في أيامه ديار مصر عمارة كثيرة.

وأخرج من زكوات الأموال سهم الفقراء والمساكين وأخرجها في مصارفها بأن رتب عليها جامكيات الفقهاء والعلماء والفقراء، وكان يكرم أهل العلم ويقرر لهم الجامكيات، وكان مغرماً لسماع الأحاديث النبوية" [105].

" كانت تخوت الفضلاء والعلماء تنصب إلى جانبه ينامون عليها ويسامرونه ويحاججونه في العلوم والآداب وكان متأدباً له شعر حسن".[106]. أما الذهبي فقد قال ""كان الكامل معظماً للسنن محباً لمجالسة العلماء فيه عقل وعدل" [107].

أما ما ذكره المؤرخون عن الإمبراطور فردريك، فقد ذكر الحنبلي :"أنه كان فاضلاً يحب الحكمة والمنطق والطب ويميل إلى المسلمين" [108]. أما المقريزي فقد وصف الإمبراطور بقوله: "وكان الإمبراطور فردريك أشقراً أمعط، في عينه ضعف لو كان عبداً ما يساوي مائتي درهم. قالوا والظاهر من كلامه أنه كان دهرياً يتلاعب بالنصرانية"[109].

وان دل هذا الكلام على شيء فإنه يدل انه لم يكن له عميق الأثر عند المسلمين، إذ إن منظره خيب ظنهم ورجاءهم، كذلك أقلقهم ما كان يردده من ملاحظات حول دينه وعقيدته.

ويصفه ابن الوردي قائلاً:" كان فرنجياً فاضلاً محباً للحكمة والمنطق مائلاً إلى المسلمين لأن منشأه بجزيرة صقلية وغالبها مسلمون"[110]. أما ابن واصل فيقول عنه :"كان الإمبراطور من بين ملوك الفرنج فاضلاً محباً للحكمة والمنطق والطب مائلاً إلى المسلمين لأنه مقامه في الأصل ومرباه في بلاد صقلية. وهو وأبوه وجده كانوا ملوكها وأهل تلك الجزيرة غالبهم مسلمون"[111].

أما المصادر الغربية فقد وصفت فردريك بما يلي: "ولد فردريك من أب ألماني وأم نصف ايطالية وتلقي تعليمه في صقلية على مقربة من المؤثرات العربية والبيزنطية فنشأ فيلسوفاً محباً للجدل والرياضيات".[112]، كما وصف بأنه:كان رجلاً وسيماً لم يكن طويل القامة، يميل إلى السمنة، شعره احمر منسدلاً خلف عنقه، عينيه خضراوتين فيهما قصر نظر. أما نبوغه الفكري فكان بالغ الظهور، يتحدث بطلاقة بست لغات الفرنسية والألمانية والايطالية واللاتينية واليونانية والعربية، ويتذوق الشعر العربي وغير العربي هذا فضلاً عن مهارته كسياسي ومحارب قانوني حتى أطلق عليه المؤرخون "أعجوبة الدنيا" وكان واسع الاطلاع في الفلسفة والعلوم والطب والتاريخ الطبيعي. وعلى الرغم من عبقريته، لم يكن مقبولاً. إذ اشتهر بالقسوة والأثرة، والمكر لا يعتبر صديقاً يصح الوثوق به، فإذا كان عدواً فلا يرحم ولا يغفر، انغمس بجميع المباذل الشهوانية بأنواعها، مسيحيته كانت شبيهة بمسيحية بعض الأباطرة البيزنطيين اعتبر نفسه خليفة الله على الأرض. لم يرى غضاضة في الاهتمام بديانات أخرى ولاسيما الإسلام الذي اتصل به طوال حياته، المسيحي العادي في الغرب لا يكاد يفهم فردريك فمع انه في دمائه نصف ألماني ونصف نورماني، غير انه كان صقلياً أصيلاً في نشأته وتربيته، إذ كان ربيب جزيرة نصف يونانية ونصف عربية فلو انه كان أميراً في القسطنطينية أو القاهرة لأضحى حاكماً بارزاً[113].

الخاتمة

من خلال العرض السابق للعلاقات الدبلوماسية التي قامت بين الملك الكامل والإمبراطور فردريك الثاني وما أسفرت عنه من عقد اتفاقية يافا وتسليم القدس توصل البحث إلى النتائج التالية:

- من الناحية الدبلوماسية خالفت الاتفاقية أصول الدبلوماسية في الإسلام، إذ لا يجوز الاتفاق مع العدو على ما يخالف مصلحة الإسلام والمسلمين فالكامل فرط بأرض المسلمين وتنازل عن القدس دون أن يكون هناك حرب أو قتال.
- ومن ناحية ثانية طابقت أصول الدبلوماسية في مدتها الزمنية إذ لم يزد الاتفاق عن العشر سنوات وهذا ما أرساه الرسول(ص) في صلح الحديبية عام (6هـ).
- أما بالنسبة لفردريك فقد استطاع عن طريق الدبلوماسية أن يحقق للغرب ما لم تستطع تحقيقه الحملات العسكرية، فقد أعاد القدس إليهم بعد أربعة عقود من التحرير وقد ساعده على ذلك معرفته بالشرق وثقافته.
- أما من الناحية السياسية فقد أصبحت المكاسب السياسية في ذلك الوقت تحكم العالمين الغربي والإسلامي بعد إن قل الوازع الديني لدى الطرفين فمكانة القدس الدينية أصبح لا يعني شيء لهما، ففردريك لا يهدف إلى شيء من دخول القدس سوى تحقيق مكاسبه السياسية في الغرب، فهو كما قال لا يرغب بالقدس إلا لرفع ناموسه في الغرب. أما البابا فقد أصبح تحرير القدس على يد منافسه فردريك لا يعني شيئاً لأنه لا يحقق له أية مكاسب سياسية فأصدر ضده قرار الحرمان وكذلك الملك الكامل فقد فرط بالقدس في سبيل الحفاظ على ملكه في مصر والوقوف في وجه أخويه ومن ثم احتلال دمشق، فكانت القدس هي الضحية.
- أما من النواحي العسكرية فقد رعى الكامل جانباً مهماً في تسليمه للقدس وهو إبقاء أسوار مدينة القدس مهدمة بالإضافة إلى إبقاء القرى والرساتيق التي هي حول مدينة القدس بأيدي المسلمين، فتسليم القدس على هذه الصورة لا يعني شيئاً من الناحية العسكرية، لأن إمكانية استردادها يكون سهلاً في حال نقض الفرنج الاتفاقية أو انتهاء مدتها وهذا ما حدث بالفعل إذ تمكن الناصر داود ابن المعظم عيسى والذي كانت مملكته في الكرك من استرداد القدس عندما نقض الفرنج الاتفاقية وبدأوا بتعمير أسوارها والاعتداء على القرى المجاورة فسار من الكرك سنة (637هـ/ 1239م) واسترد القدس ثانية، فقوة القدس عسكرياً يكون

بالسيطرة على المواقع المحيطة بها، وهذا ما يطبقه حكام إسرائيل الآن عند تنازلهم عن المدن الفلسطينية إذ يبقون المدينة محاطة بالمستوطنات الإسرائيلية لإعادة احتلالها في أي وقت شاءوا وهذا الأمر كان يعيه الملك الكامل تماماً والذي يستشف من قوله بأنه لم يسلم في القدس سوى ادر وكنائس خربة فهو لا يقصد أن يقلل من قيمة القدس ومكانتها وهو القائل لأخيه :"ان أخذه الفرنج حصل لنا من سوء الذكر وقبح الأحدوثة ما يناقض ذلك الذكر الجميل الذي ادخره عمنا وأي وجه يبقى لنا عند الناس وعند الله"، إنما كان يعني أن تسليم القدس بهذا الشكل لا يعني شيئاً من الناحية العسكرية.

كذلك عرض الكامل على الفرنج في الحملة الصليبية الخامسة على مصر سنة (516هـ/ 1219م) بالتنازل عن فتوح صلاح الدين بما فيها القدس من اجل إنقاذ مصر ويرفض الفرنج هذا العرض لأنه كل من المعسكر الإسلامي والمعسكر الصليبي كان يعي تماماً أن قوة القدس بقوة مصر، فالكامل تنازل عن القدس مقابل حماية مصر والانسحاب منها، لأن إبقاء مصر قوية يعني أيضاً إمكانية استرداد القدس في أي وقت شاءوا، فكان انطلاق صلاح الدين لتحرير القدس من مصر أولاً. كما رفض الفرنج هذا لأنهم كانوا يعلمون أيضا أن سقوط مصر معناه سقوط القدس، فمصر دائماً هي بمثابة الرأس لهذه الأمة قوتها يعني قوة الأمة وضعفها يعني ضعفها، فحكام إسرائيل يقرأون التاريخ ويستفيدون منه في تنفيذ سياساتهم الاحتلالية سواء كان في إضعافهم لمصر أو في إبقاء المدن الفلسطينية محاطة في المستوطنات الإسرائيلية، فالكامل تنازل وفرط، إلا انه كان يحاول اتخاذ أصوب القرارات حتى في حالة ضعفه وانهزامه.

كما أن هناك تعليق آخر على هذه الحملة وهو أن وصول فردريك إلى عكا بعد وفاة المعظم عيسى وعدم وقوف الفرنجة في الشام إلى جانبه واستغلال هذه الظروف من قبل الكامل أنقذت العالم الإسلامي من تنازلات أكثر واجبار فردريك بالشروط التي طلبها الملك الكامل.

خلص البحث إلى النتائج التالية:

- خالفت الاتفاقية حين تنازل الكامل عن القدس أصول الدبلوماسية في الإسلام، إذ لا اتفاق مع العدو على ما يخالف مصلحة الإسلام والمسلمين.
- استطاع الامبراطور فريدريك الثاني أن يحقق للغرب ما عجزت عنه الحملات العسكرية، فقد استطاع فردريك ان يحصل بالأسلوب الدبلوماسي على المدينة المقدسة من السلطان الكامل ،فبقيت المدينة بأيديهم مدة عشرة سنوات .وعجز الامبراطور عن تحقيق هذا الانجاز بالقوة،كما عجز قبل ذلك عدة ملوك من اوروبا من اعادة المدينة بالقوة.

- اكد الكامل على جانب مهم في تسليمه لمدينة القدس وهو إبقاء القرى والرساتيق التي هي حول مدينة القدس بأيدي المسلمين، كما اشترط بقاء أسوار مدينة القدس مهدمة، فتسليم القدس على هذا النحو لا يعني شيئا من الناحية العسكرية، لأن إمكانية استردادها يكون سهلاً في حال نقض الفرنج الاتفاقية أو انتهاء مدتها.

وصول فريدريك الثاني إلى الشام بعد وفاة المعظم عيسى، وعدم وقوف الفرنجة في الشام إلى جانبه واستغلال هذه الظروف من قبل الكامل أنقذ بلاد الشام من تنازلات أكثر، كما أجبرت فردريك بالقبول بأقل الشروط. واعتبر الغرب مكاسب فريدريك محكومه بإرادة السلطان الذي يمكنه استرداد تلك المكاسب في حال استعادة القوى الاسلامية قوتها ووحدتها.

Diplomatic Relations Between King Al- Kamil (615- 635 AH 1218- 1238) and Fredrek II (544- 648 AH 1197- 1250)

Fayze Hijazi, *Faculty of Arts, Dept. of History, Uarmouk University, Irbid, Jordan .*

Abstract

The study aimes to investigate the relations between Al- Kamil (615- 635) A.H (1218- 1238) and Fredrek II(594- 648) A.H (1197- 1250) Emperor of Germany . which resulted in the concession of Jerusalem to Emperor Fredrek according to Ttreaty agreed upon between the two parties called Jaffa Treaty in (626 AH 1229).

The study also aims to show the circumstances under which the Ttreaty was signed and explain the articles included in it in order to clarify the Strategy of Muslim rulers in previous ages, who were trying to make the right decisions even under weak and retreating circumstances.

The study, came up with the following results:

- The treaty conflicted with the basic Islamic diplomatic rules when Al- Kamil gave up Jerusalem which prohopit agreement with the enemy when Islam and Muslim interests violated.

- Fredrek II achieved for the west what military expedition were not capable of. He took Jerusalem back after four centuries from its liberation.
- Al- Kamil took into consideration important aspect when he give up Jerusalem, that surrounding suburbs and towns stay in Muslim hand. He also put a condition that prevents the walls of the city from being rebuilt, from a military perspective,this would keep the possibility of returning to the city easy, in case if the crusaders violate the treaty or the treaty expires.
- Fredrek II arrived to the Bilad AL Sham after the death of Al- Muazzam Issa, and failed to achieve an alliance with the crusaders in Bilad AL Sham.

  AL- Kamil used these circumstances to save Muslims Bilad from further concessions, and forced Fredrek II to accept the treaty with the least conditions .

قدم البحث للنشر في 2004/4/29 وقبل في 2015/2/22

الهوامش

(1) سورة الأنفال، آية: 61.

(2) سورة البقرة، آية: 208.

(3) سورة النحل، آية: 91.

(4) سورة الإسراء، آية:34.

(5) سورة النحل، آية: 92.

(6) سورة التوبة، آية: (4).

(7) سورة الأنفال، آية: 58.

(8) سورة التوبة، آية: (4).

(9) مسلم، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري، (ت. 261هـ/ 874م) صحيح مسلم، ج3، دار إحياء التراث، 1955، كتاب الجهاد والسير.

(10) المصدر نفسه، ج3، باب الوفاء بالعهد.

(11) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، (ت.128هـ/ 798م)، كتاب الخراج، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1979م، ص223.

(12) ابن الأثير، محمد بن عبدالله بن عبد الكريم، (ت 630هـ/ 1232م). الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء القاضي، مج 2، بيروت، دار الكتب العلمية،1987، ص90.

(13) ابن الفرا، أبو علي الحسين بن محمد (ت. في القرن الرابع الهجري)، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، د.ت، ص 33-38.

(14) عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، مج 2، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط4، 1982، ص 950.

(15) عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، ط 8، 1985، ص 382

Wiegler, Paul, The infidel Emperor and his struggles Against the Pope. Trans by: Brian,w,Downs,London, 1930.p 24-25

(16) Hayward, F, Ahisory of the Pops, London, 1931, P:193. Wielger,Op.Cit,p60-61

(17) Thompson, J.W, The Middle Ages, London, 1931, Vol.2, P:621.

(18) عاشور، أوروبا العصور الوسطى، Tout, (T.F), The Empire and the Papacy,418/1273,Eighth Edition, London, 1924, p: 239.

(19) عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ص 382.

(20) المرجع نفسه، ص383.

(21) عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 151.

Setton, Kenneth, Ahistory of Crusades, London The University of Wisconsin Press, 1969, Vol.2, p:430.

(22) عاشور، أوروبا، ص383.

(23) رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ترجمة الباز العريني، بيروت، دار الثقافة، ط 2، 1980، ص 291، 295.

Setton, Ahistory, Vo12, p435.

(24) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص 377. ابن واصل، جمال الدين محمد (ت. 697هـ/ 1297م) مفروج الكروب في أخبار بني أيوب، ج4، تحقيق حسين ربيع وسعيد عاشور، القاهرة، مطبعة دار الكتب، 1977م، ص 32.

(25) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج 3، ص 312.

Setton, Ahistory, Vol.2, p: 438.

(26) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج 3، ص 312.

Setton, Ahistory, Vol.2, p: 446.

(27) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج 3، ص 316.

(28) المرجع نفسه، نفس الجزء، ص 317.

(29) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج 3، ص 318.

Setton, Ahistory, Vol.2, p: 452.

(30) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج 3، ص 318.

Kantorowicz, E, Ferderick the Second, London, 1931, p: 185.

(31) سنجار، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام: ياقوت الحموي. شهاب الدين، (ت. 626 هـ/ 1228م)، معجم البلدان، ج 3، بيروت، دار صادر، 1988، ص 212.

(33) Setton, Ahistory, Vol.2, p: 449.

(34) سلمية: هي بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 240.

(35) المعرة: مدينة كبيرة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة تشتهر بكثرة زيتونها وآبار المياه، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ،5 ص 156.

(36) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 461. ابن الوردي، زين الدين عمر، (ت. 749هـ/ 1348م)، تتمة المختصر في أخبار البشر، ج 2، تحقيق أحمد البدراوي، بيروت، دار المعرفة، 1970، ص 213- 214. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت. 808هـ/ 1405م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج 5، بيروت، مؤسسة الأعلى، 1971م، ص 350.

(37) ابن الجوزي، شمس الدين (ت. 654هـ/ 1256م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج 8، ق 2، الهند مطبعة دار المعارف، 1952م، ص 633. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 10، ص 468.

(38) أذربيجان، يتصل فيها من جهة الشمال بلاد الديلم، وهو إقليم واسع قصبتها تبريز. فيها قلاع كثيرة ومياه جارية فتحها المغيره بن شعبة في خلافة عمر بن الخطاب، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 128.

(39) أربل: قلعة حصينة ومدينة كبيرة وهي بين الزابين تعد من أعمال الموصل، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 138.

(40) ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج 8، ق632. ص ،2ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 478. الذهبي الحافظ شمس الدين عبد الله (ت. 748هـ/ 1347م) دول الإسلام، عني بطبعه ونشره عبد الله الأنصاري، مطابع مصر الوطنية، بالدوحة، قطر،1988،ج2،ص126. المقريزي، أحمد بن علي، (ت. 854هـ/ 1450م)، السلوك بذكر الأمم والملوك، تحقيق مصطفى زيادة، ج1، ق1، 1957م، ص 222.

(41) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 469. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت. 732هـ/ 1331م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية،مصر،د.ت، ج3، ص136. ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 180،181. المقريزي، السلوك، ج1، ص340.

(42) أبو الفداء، المختصر، ج3، ص 137.

(43) ابن الوردي، تتمة المختصر، ج2، ص 219. الذهبي، دول الإسلام، ج2 ،ص 126. أبو الفداء، المختصر، ج3، ص138. ابن خلدون، العبر، ج5، ص 350. المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص222.

(44) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص 230. ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص79.

(45) المصدر نفسه، ، ج1، ق1، ص223.

Conder, GR, The Latin Kingdom of Jerusalem, London, p:312.

(46) ابن الجوزي، مرآة الزمان،، ج 8، ق643. ص ،2 ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، (ت. 774هـ/ 1372م)، البداية والنهاية، ج 12، مطبعة السعادة، د.ت، ص 117. المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص221 -223.

Setton, Ahistory, Vol.2, p: 449.

(47) ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 2، ق 2، ص 647.

(48) ابن واصل، مفرج الكروب، ج 4، ص208. ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 473 أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردين (ت. 874هـ/ 1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن دار الكتب، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، 1963، ج 6، ص 68.

(49) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 225. ابن الاثير، الكامل، ج 10، ص 479.

(50) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 229.

(51) ابـن واصـل، مفـرج الكـروب، ج4، ص 229. ابـن الأثيـر، الكامـل، ج 10، ص 479. المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص 227.

(52) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 479.

(53) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 234-235. ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 479.

(54) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص 227.

Setton, Ahistory, Vol.2, p: 453.

يقصد فردريك في هذه الرسالة ما حصل في الحملة الصليبية الخامسة حيث تمكن الصليبيون في سنة (616هـ/ 1219م) من دخول دمياط ثم تقدموا نحو فارسكور في طريقهم إلى القاهرة وهنا تقدم الملك الكامل بالتنازل عن معظم فتوح صلاح الدين بما فيها القدس وإعادة جميع الأسرى وقبل الملك جان دي بريين قائد الحملة هذه الشروط، غير إن المندوب البابوي بلاجيوس أصر على الحصول إلى جانب كل ذلك التنازل عن الكرك والشوبك إلى جانب تعويض كبير وعندها فشلت المفاوضات واستعد السلطان للقتال. وجرت مطاردة الصليبيين إلى دمياط أواخر سنة (619هـ/ 1221م) حيث تحتم على بلاجيوس أن يعقد معاهدة مع الملك الكامل أمدها ثماني سنوات وبمقتضاها تم انسحاب الصليبين من دمياط. ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 377، ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص32، ارنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة، ط2، 1976، ص 109.

(55) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص229.

(56) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 234. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ص 141.

(57) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 234.

(58) Conder, The Latin Kingdom, p: 313.

(59) Stevenson, W.O, The Crusaders in the East, Beirut, 1968,p:311.

(60) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص230.

(61) ابن الأثير، الكامل، ج1، ص 481.

(62) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 242.

Setton, Ahistory, Vol.2, p: 453.

(63) سير الاباء البطاركة بالمدينة العظمى الاسكندرية (المكتبة الصقلية)، ص334.

Setton, Ahistory, Vol.2, p: 453.

(64) اليافعي حسين ، جامع التواريخ (المكتبة الصقلية)، ليبسيك،1857، ص94.

(65) الذهبي، العبر في خبر من عبر، تحقيق ابو هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت،1985،ج3، ص132.

(66) أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، (ت. 665هـ/ 1266م) الذيل على الروضتين، مراجعة السيد عزت الحسيني، بيروت، دار الجليل، 1947م،ج6، ص4. ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 241. ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج 10، ص481. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، ص 272. المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص230.

(67) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 242.

(68) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص230.

(69) Atiya,A.S. Crusade, Commerce and culture, Oxford University pres, Oxford, 1962,p89.

سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر (ت.654هـ/1256م). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ط6، ج8، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية بحيدر أباد الركن، الهند،1925م،ص653-656. ابن سباط، حمزة بن احمد، (ت.1519/926م)، صدق الاخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، ط1 تحقيق عمر عبد السلام تدمري، مطبعة جروس برس، طرابلس1993م. ج1، ص295. المقريزي، السلوك، ج1، ص353 النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، (ت 733هـ/1332م)، نهاية الارب في فنون الادب، ط1، 31ج، تحقيق مجموعة من الأستاذة، المجلس الأعلى للثقافة مع الاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983 ج29، ص150. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة ج6، ص241، ابن أيبك الداوداري، أبو بكر بن عبد الله، (ت 736هـ/1335)، كنز الدرر وجامع الغرر، الدر المطلوب في أخبار بني ايوب، ط1، ج7 تحقيق سعيد عاشور، مطبعة أحياء الكتب العربية، القاهرة 1972، ص293. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج12، ص481.

(70) المقريزي، السلوك، ج1، ص353. حسين اليافعي، جامع التواريخ، (المكتبة الصقلية)، ليبسك، 1857، ج2، ص 513. ابو الفداء، تاريخ، ج2، ص240. الحنبلي، احمد بن

إبراهيم، (ت 876هـ/1471م) شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، ط1، تحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1996، ص267. ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص141. المقريزي، السلوك، ج1، ص353.

(71) المقريزي، السلوك، ج1، ص354. النويري، نهاية الأرب، ج29، ص151. حسين اليافعي، جامع التواريخ، ج2، ص513.

(72) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 241-242. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 481. أبو الفداء، المختصر، ج3، ص141، المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص230.اليافعي، ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان، (ت 768هـ/1336م)، مراة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، 4 اجزاء، وضع حواشيه خلييل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج4، ص47. حسين اليافعي، جامع التواريخ، ج2، ص 513. ابن سباط، صدق الأخبار، ج1، ص295.

Setton, AHistory, Vol.2, p: 455.

(73) المقريزي، المصدر نفسه، ج1، ق1، ص231، الحنبلي، مجير الدين، (927هـ/ م1520)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، عمان، مكتبة المحتسب، 1973م، ص 406.

(74) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج 3، ص 334.

Setton, Ahistory, Vol.2, p: 458.

(75) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 244. المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص231.

(76) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 245. المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص231.

(77) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج6، ص 272.

(78) Setton, A History, Vol.2, p: 461.

(79) ابن واصل، المصدر السابق، ج4، ص 246.

(80) أبو الفداء، المختصر، ج 3، ص 142. الذهبي، دول الإسلام، ص133 الذهبي، العبر في خبر من عبر، ج3،ص197. الحنبلي، الأنس الجليل، ج1، ص 401.

(81) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 234. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ (ت. 774هـ/ 1362م)، البداية والنهاية، مج 7، ج 13، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، بيروت، دار

الكتب العلمية، ط3، 1987، ص 133. المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص231. الحنبلي، الأنس الجليل، ج1، ص 406. حسين اليافعي، جامع التواريخ، ج2،ص514.

(82) ابن واصل، المصدر السابق، ج4، ص 243. ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2، ص 654. الحنبلي، الانس الجليل، ج1،ص406. المقريزي، السلوك، ج1،ص354. العيني، بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد. (ت 855هـ/1451م). من كتاب عقد الجمان في:R.H.C.Hist,orint, T2,Paris,1987 p192. النويري، نهاية الارب، جزء 29، ص 150-156.

(83) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 481. المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص231. ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص 654.

(84) ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2، ص 654. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص 481.

(85) الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص 132. العبر، ج3، ص197.

(86) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 243.

(87) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص223.

(88) ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص 654. أبو الفداء، المختصر، ج3، ص142. ابن الوردي، تتمة المختصر، ج2، ص223. أبو شامة، الذيل على الروضتين، ج6، ص4. الحنبلي، الأنس الجليل، ج1، ص 406، 407.

(89) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص234.

(90) ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص 655. القلقشندي، أحمد بن علي (ت. 821هـ/ 1418)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م، ج7، ص 125.

(91) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 244. المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص230.

(92) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص232.

(93) ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8،ق 2، ص 654.

(94) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4،ص175. المقريزي، السلوك، ج1، ص339.

(95) ابن أيبك، كنز الدرر، ج7، ص281. المقريزي، السلوك، ج1، ص345.

(96) عاشور، الحركة الصليبية، ج2،ص 969.

(97) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص 338.

Setton, AHistory, Vol.2, p: 458-460.

(98) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص 339.

Setton, AHistory, Vol.2, p: 460.

(99) باركر، الحروب الصليبية، ص 115.

(100) Setton, Ahistory, Vol.2, p: 462.

(101) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، (ت. 681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، مج 5، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر،د.ت، ص 81.

(102) المصدر نفسه، ص 89.

(103) الصفدي، خليل بن أيبك، (ت. 674هـ/ 1362م)، الوافي بالوفيات، ج1، فرائز شتاينر، ط2، 194ص ، م1961.

(104) الحنبلي، الأنس الجليل، ج1، ص 407.

(105) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 156-158.

(106) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 164.

(107) الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص139.

(108) الحنبلي، الأنس الجليل، ج1، ص 46.

(109) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص232.

(110) ابن الوردي، تتمة المختصر، ج2، ص 150.

(111) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 234.

(112) Kantorowicz, E, Frederick The Second, London, 1931, p: 293-995.

(113) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج3، ص312-313.

قائمة المصادر والمراجع

أ. المصادر العربية

1. القرآن الكريم.
2. ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم، (ت. 630هـ/1232)، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، مج2، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 ، 1978.
3. ابن ايبك الداوداري، أبو بكر بن عبد الله، (ت 736هـ-1335)، كنز الدرر وجامع الغرر، الدر المطلوب في أخبار بني أيوب، ط1 ،ج7 تحقيق سعيد عاشور، مطبعة أحياء الكتب العربية، القاهرة 1972.
4. ابن الجوزي، شمس الدين، (ت. 654هـ/1256)،مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج8، ق 2، الهند، مطبعة دار المعارف، 1952م.
5. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت. 808هـ/ 1405)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج5، بيروت، مؤسسة الأعلى، 1971م.
6. ابن خلكان، أحمد بن محمد، (ت. 681هـ/ 1282)، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، مج5، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر.
7. ابن سباط، حمزة بن احمد، (ت.926-1519م)، صدق الاخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، ط1 تحقيق عمر عبد السلام تدمري، مطبعة جروس برس، طرابلس1993م.
8. ابن الفرا، أبو علي الحسين بن محمد، (ت. في القرن الرابع الهجري)، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، (د.ت).
9. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، (ت.774هـ/ 1372م)، البداية والنهاية، ج 12، مطبعة السعادة،د.ت.
10. ابن واصل، جمال الدين محمد، (ت. 697هـ/ 1297م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج4، تحقيق حسين ربيع، القاهرة، مطبعة دار الكتب، 1977م.
11. ابن الوردي، زين الدين عمر، (ت.749هـ/ 1348م)، تتمة المختصر في أخبار البشر، ج2، تحقيق أحمد البدراوي، بيروت، دار المعرفة، 1970م.
12. أبو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل، (ت. 665هـ/ 1266م)، الذيل على الروضتين، ج6، مراجعة عزت الحسيني، بيروت، دار الجليل،1947م.

13. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، (ت. 732هـ/ 1331م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، مصر، ط1، (د.ت).

14. أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي، (ت. 874هـ/ 1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 13 جزء، طبعة مصورة عن دار الكتب العلمية، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر،1963.

15. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، (ت. 182هـ/ 768م)، كتاب الخراج، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1979م.

16. الحنبلي، مجير الدين، (ت. 927هـ/ 1520م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، عمان، مكتبة المحتسب، 1973م.

17. الحنبلي، احمد بن إبراهيم، (ت 876هـ/1471م) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، ط1، تحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1996.

18. الذهبي الحافظ شمس الدين عبد الله (ت. 748هـ/ 1347م) دول الإسلام، عني بطبعه ونشره عبد الله الأنصاري، مطابع مصر الوطنية، بالدوحة، قطر، 1988 .

19. الذهبي، العبر في خبر من عبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.

20. الصفدي، خليل بن أيبك، (ت. 674هـ/ 1362م)، الواقي بالوفيات، ج1، فرائز شتاينر، ط2، 1961م.

21. العيني، بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد. (ت 855هـ/1451م). من كتاب عقد الجمان في:R.H.C.Hist,orint, T2,Paris,1987 p192.

22. القلقشندي، أحمد بن علي، (ت. 821هـ/ 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م، ج7.

23. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري، (ت. 261هـ/ 874م)، صحيح مسلم، ج3، دار أحياء التراث، 1955م، كتاب الجهاد والسير.

24. المقريزي، احمد بن علي، (ت. 854هـ/ 1450م)، السلوك بذكر الأمم والملوك، تحقيق مصطفى زيادة، ج1، ق1، 1957م.

25. النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، (ت 733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، 31ج، تحقيق مجموعة من الأستاذة، المجلس الأعلى للثقافة مع الاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983.

26. ياقوت الحموي، شهاب الدين، (ت. 626هـ/ 1228م). معجم البلدان، بيروت، دار صادر. 1986.

ب. المراجع العربية الحديثة والمعربة:

1. باركر، ارنست، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة، بيروت، ط2، 1976م.
2. رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ترجمة الباز العريني، بيروت، دار الثقافة، ط2، 1980م.
3. سير الآباء البطاركة بالمدينة العظمى الإسكندرية، الباب التاسع والثلاثون.
4. عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، مج2، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط4، 1982م.
5. عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط8، 1985م.
6. اليافعي، حسين، جامع التواريخ، (المكتبة الصقلية)، ليبسك، 1857.

المراجع الأجنبية الحديثة:

1. Atiya,A.S. Crusade, Commerce and culture, Oxford pres, Oxford, University 1962,p89.
2. Conder, GR, The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1897.
3. Hayward, F, A history of the Pops, London, 1931.
4. Kantorowicz, E, Frederick the Second, London, 1931.
5. Setton, Kenneth, A history of Crusades, London, The University of Wisconsin Press, 1969.
6. Stevenson, W.O, The Crusaders in the East, Beirut,1968.
7. Tout, The Empire and the Papacy 418-1273, Eighth Edition, London,1924.

8. Wiegler, Paul, The infidel Emperor and his struggles Against the Pope. Trans by: Brian,w,Downs,London, 1930.
9. Thompson, J.W, The Middle Ages, London, 1931, Vol.2, P:621.